(لَيسَ على اﷲ بمستنكَر ... أن يَجْمَعَ العالَم في واحدِ) .

ولكنّ َ لحديث الجنسيةِ هاهُنا مأخذاً آخرَ غيرَ ذلك وهو أنك تَعمدُ بها إلى المصدِر المشتَقّ ِ منه الصفةُ وتوجّ ِهُها إليه لا إلى نفسِ الصّ ِفة . ثم لك في تَوجيهها إليه مسلَكٌ دقيقٌ وذلك أنّ َه ليس القَصْدُ أن تأتَي إلى شجاعاتٍ كثيرةٍ فتجمَعَها له وتُوجدَها فيه ولا أن تقولَ : إنّ َ الشجاعاتِ التي يُتوَهّ َم وجودُها في الموصوفينَ بالشجاعة هي موجودةٌ فيه لا فيهم . هذا كلّ ُه مُحالٌ بل المعنى على أنك تقولُ : كنا قد عَقَلنا الشجاعَة وعرَفنا حقيقتَهَا وما هي وكيف ينبغي أن يكون الإنسانُ في إقدامِه وبَطْشه ِ حتى يعلَمَ أنه شجاع على الكمال واسْتَقْرينا الناسَ فلم نجدْ في واحدٍ منهم حقيقةً ما عرفناهُ . حتى إذا صِرْنا إلى المخاطبِ وجدناهُ قِد استكملَ هذه الصفةَ واستجمعَ شرائطَها وأخلصَ جوهَرها ورسَخ فيه سِنْخُها . ويُبَيّ ِنُ لك أن الأمرَ كذلك اتفاقُ الجميع على تفسيِرهم له بمعنى الكامِل ولو كان المعنى على أنه استَغْرَقَ الشجاعات التي يُتوهّ َم كونُها في الموصوفينَ بالشجاعة لما قالوا : إنّ َه بمعنى الكامل في الشجاعِة لأن الكمالَ هو أن تكونَ الصفةُ على ما يَنْبغي أن تكونَ عليه وأن لا يخالَطها ما يقدحُ فيها . وليس الكمالُ أن تجتمعَ آحادُ الجنسِ وينَضّ َم بعضُها إلى بعضٍ فالغرضُ إذاً بقولنا : أنتَ الشجاعُ هو الغرضُ بقولهم : هذه هيَ الشجاعةُ على الحقيقة وما عداها جُبْنٌ . وهكذا يكون العلمُ وما عداه تَخَيّ ُلٌ . وهذا هو الشِعّرُ وما سواهُ فليس بشيءٍ وذلك أظهرُ من أن يَخْفى .

وضربٌ آخرُ منَ الاستدلال في إبطالِ أن يكونَ : أنتَ الشجاعُ : بمعنى أنك كأنّ َك جميعُ الشجعانِ على حَدّ ِ : أنت الخَلْقُ كلّ ُهم . وهو أنّك في قولك : أنتَ الخلقُ وأنتَ الناسُ كلّ ُهم وقد جُمِعَ العالمُ مِنْكَ في واحدٍ تدّ َعي له جميعَ المعاني الشّ َريفةِ المتفرقِة في الناس من غيرِ أن تُبْطلَ تلك المعاني وتَنفيَها عن الناس بل على أن تدّ َعيَ له أمثالَها . ألا تَرى أنك إذا قلتَ في الرجلِ : إنه معدودٌ بألفِ رجلٍ فلستَ تعني أنه معدودٌ بألفِ رجل لا معنى فيهم ولا فضيلةَ لهم بوجه . بل تريدُ أنّ َه يُعْطِيكَ من معاني الشجاعةِ أو العلم أو كذا أو كذا مجموعاً ما لا تجدُ مقدارَهُ مُفرّ َقاً إلاّ ً في ألفِ رجلٍ . وأمّ َا في نحوِ : أنت الشجاعُ فإنك تدّ َعي له أنه قد انفردَ بحقيقةِ الشجاعةِ وأنه قد أُوتَي فيها مزيّ َةً وخاصيّ َة لم يُؤتَها أحدٌ